خطبة عيد الأضحى
ألقيت فى ميدان عابدين بالقاهرة سنة ١٩٧٧ م

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

هذا يوم العيد ، هذا يوم التكبير [١] ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

نحن المسلمين بالتكبير نزيّن الأعياد ، بالتكبير نصنع الأمجاد ، بالتكبير نبدأ الصلاة ، بالتكبير نبدأ الأذان ، بالتكبير نبدأ الإقامة ، بالتكبير نبدأ المعارك ، بالتكبير نبدأ الحياة ! إذا ولد المولود منّا أذّنّا فى أُذنه : الله أكبر ، وإذا قمنا للصلاة قلنا : الله أكبر ، وإذا ذبحنا أو نحرنا قلنا : بسم الله والله أكبر . نحن المهلّلون المكبرون ، نحن المسلمين تعلّمنا أن يكون شعارنا : الله أكبر .

(الله أكبر) بها نرعب الأعداء فى الحروب (الله أكبر) بها نقتحم الأحداث والخطوب . فى يوم بدر انتصرنا لأنّ شعارنا كان : الله أكبر . فى يوم عين جالوت كان شعارنا : الله أكبر . فى يوم العاشر من رمضان تحقق لنا النصر لأننا جعلنا شعارنا : الله أكبر [٢] .

---

(١) ذهب الجمهور إلى أنّ التكبير فى عيد الأضحى سنة مؤكدة ، وابتداؤه من فجر يوم عرفة (التاسع من ذى الحجة) وانتهاؤه مع عصر آخر أيام التشريق .

(٢) انظر هزيمة يونيو ١٩٦٧ . ، وانظر للعاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ . فى (٦٧) كانوا يقولون : ومدفعنا يتحدى القدر . وهذا المدفع لم يفعلوا به شيئًا ، بل تركوه غنيمة لليهود ، وأما فى العاشر من رمضان فحينما نادى المنادى : الله أكبر ، هبّت على الجنود والناس نفحات رمضان ، وكان العبور واقتحام خط بارليف ، حيث حطمت أسطورة القوة التى لا تقهر . وأخذنا من النصر على قدر ما كان عندنا من إيمان ، ولو كان عندنا إيمان أكبر لكنّا =

OBEIKAN.COM

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ولله الحمد .

أيها الإخوة المسلمون :

(الله أكبر) ليست كلمة تقال ، وليست مجردّ شعار يرفع ، إنّما (الله أكبر) معناها يا أخى المسلم : أن تكون الدنيا كلها فى عينك صغيرة فى جنب الله عزّ وجلّ. إذا عرض عليك المال ، أو عرض عليك الجاه ، أو عرضت عليك الدنيا مجتمعة ، لتتنازل عن دينك ، استمسكت بدينك وقلت : الله أكبر . الله أكبر من المال والثروة، الله أكبر من الجاه والمنصب ، الله أكبر من المتع والشهوات ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

أيها الإخوة المسلمون :

نحن فى عيد الأضحى ، ولنا نحن المسلمين عيدان . حينما « قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هذا اليومان ؟ قالوا : كنّا نلعب فيهما فى الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » (١) .

وقد شاء الله لنا نحن المسلمين أن تكون أعيادنا عقب فرائض وعبادات كبرى ، فعيد الفطر بعد عبادة الصيام ، بعد أن تجوع البطون ، وتظمأ الشفاه لله ، ويدع الإنسان طعامه من أجل الله ، وشرابه من أجل الله ، وشهوته من أجل الله ، وزوجته من أجل الله ، يأتيه العيد (جائزة) من الله تعالى ، بعد هذه المشقة فى سبيل الله ، و«للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربّه فرح بصومه » (٢) .

= توسعّنا وتوغلنا أكثر ، إنّما على قدر إيماننا أخذنا : اعطنى إيمانًا أعطيك نصرًا (من كلام الشيخ القرضاوى فى كتابه قضايا إسلامية على بساط البحث ص : ١٢٢) وانظر : كتابه « درس النكبة الثانية : لماذا انهزمنا وكيف ننتصر ؟ » .

(١) رواه أبو داود بهذا اللفظ عن أنس ، ورواه أحمد والنسائى . وهذا إسناد على شرط مسلم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية) ص ١٨٤ ، ط . دار المعرفة ببيروت .

(٢) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٣٠٧/١ ، الحديث ٥٠٥) .

ويأتى عيد الأضحى عقب الحج ، فهو يوم الحج الأكبر ، بعد أن يقف الحجاج فى عرفات ، متجردين لله تعالى من مظاهر الدنيا ، لابسين ثيابًا بيضاء ، أشبه ما تكون بأكفان الموتى ، قد تساوَوْا صغيرهم وكبيرهم ، أميرهم وخفيرهم ، غنيهمّ وفقيرهم، تجردّوا وتساووا أمام الله ، لبّوا نداء الله ، نداؤهم واحد ، دينهم واحد ، ربهم واحد ، نبيّهم واحد ، كتابهم واحد ، حداؤهم واحد : لبيّك اللهم لبيّك ، لبيّك لا شريك لك لبيّك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

هناك يتجلّى الله تعالى على عباده ، يباهى بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول للملائكة : « انظروا إلى عبادى ، أتونى شعثًا ، غبرًا ، ضاحين - أى متعرّضين لحرارة الشمس - من كل فجّ عميق ، أشهدكم أنّى قد غفرت لهم . . . » (١) .

الحج يأتى بعده العيد الأكبر : عيد الأضحى ، والصيام يأتى بعده عيد الفطر. أعيادنا بعد عبادات وبعد فرائض وشعائر تقام لله .

ولهذا فإن لأعيادنا نحن المسلمين خصائص :

أعيادنا أعياد ربانيّة : ليس يوم العيد عندنا يوم (كاس وطاس) ، ولا يوم انفلات للشهوات ، أو جرى وراء الملذات ، إنّ أعيادنا تبدأ بالتكبير ، تبدأ بـ (الله أكبر) ، تبدأ بالصلاة . أعيادنا أعيادًا ربانّية ، أعيادًا موصولة الحبال بالله تبارك وتعالى .

وهى كذلك أعياد إنسانية : لأنّ المعانى الإنسانية تتجلّى فيها أعظم التجلّى . لا يريد الإسلام للمسلم أن يفرح بالعيد وحده ، فليس منّا من أكل وحده ، وليس منّا من عاش لنفسه .

فى عيد الفطر شرع الإسلام زكاة الفطر ، « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر

---

(١) رواه أبو يعلى ، والبزار ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى واللفظ له، من حديث جابر رضى الله عنه ، ونصّه كاملاً : « إذا كان يوم عرفة ، فإنّ الله تبارك وتعالى يباهى بهم الملائكة فيقول : انظروا إلى عبادى أتونى شُعْثًا غُبرًا ضاحين من كل فج عميق ، أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فتقول الملائكة : إن فيهم فلانًا مُرهقًا وفلانًا ! قال : يقول الله عز وجل : قد غفرت لهم » والمرهق : هو الذى يغشى المحارم ، ويرتكب المفاسد . (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٥٢ ، والحديث ٦١٢) .

طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وطعمه للمساكين » [1] ، فرضها على كل صغير وكبير ، ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد من المسلمين [2] ، وقال : « أغنوهم عن الطواف فى هذا اليوم » [3] . بدل أن يطوف المسكين ويسأل الغنى ، فإنّ الغنى يبحث عنه، ويسأل ويطوف ، ويذهب إلى داره ليعطيه زكاة الفطر ، لتعمّ الفرحة ، ويعمّ السرور الجميع .

وكذلك فى عيد الأضحى ، شرع الإسلام (الأضحية) [4] ليوسعّ الإنسان على أهله ، ويوسعّ الإنسان على أحبائه وجيرانه ، ويوسّع على فقراء المسلمين . هكذا

---

(١) رواه أبو داود وسكت عليه هو والمنذرى ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى ، ووافقه الذهبى ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وتتمته : « فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٣١ ، الحديث ٥٧١) وانظر أيضًا (فقه الزكاة للقرضاوى ، ٢/ ٩٢١ -٩٢٢) ط . مؤسسة الرسالة ببيروت .

(٢) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر ، أو صاعًا من شعير على الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين ، وأمرنا أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » متفق على صحته (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ٦/ ٧١ ، برقم ١٥٩٤) .

(٣) تقدم تخريجه فى ص (٢٤٤) .

(٤) الأصل فى مشروعيتهما الكتاب والسنة والإجماع . أمّا الكتاب فقوله سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] قال بعض أهل التفسير : المراد به الأضحية بعد صلاة العيد . وأما السنة فلأحاديث منها حديث أنس المتفق عليه : « أنّ النبىّ ﷺ كان يضحى بكبشين أملحين أقرنين ، يطأ على صفاحهما ، ويذبحهما بيده ، ويقول : بسم الله والله أكبر (شرح السنة للبغوى : ٤/ ٣٣٤ ، برقم ١١١٩) وأجمع المسلمون على شرعيتها . وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء إلى أنها سنة مؤكدة . وذهب أبو حنيفة إلى أنها واجبة على أهل اليسار . ووقتها من بعد صلاة العيد فلا تجزىء قبله ، ويمتد إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق ، وهو قول الحسن وعطاء ، وبه قال الشافعى . وذهب جماعة إلى أن وقت الأضحية يوم النحر ويومان بعده ، وبه قال مالك وأحمد ، وإليه ذهب أصحاب الرأى . وتجزىء الشاة (من الضأن أو المعز) عن الواحد (أى عن الرجل وأهل بيته) . أمّا الإبل والبقر فتكفى الواحدة عن سبعة .

OBEIKAN.COM

ينبغى أن توزّع الأضحية أثلاثًا : ثلث لنفسه وأهله ، وثلث يهدى منه جيرانه وأصدقاءه ، وثلث للفقراء . وإذا كان أكثر من الثلث للفقراء فقد أحسن .

وليس لفقراء المسلمين فقط ، بل إنّ التسامح الإسلامى شمل المسلمين وغير المسلمين . روى أبو داود والترمذى أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص ذبحت له شاة فى أهله ، فلمّا جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودى ؟ أهديتم لجارنا اليهودى ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثّه» (١) أى يورث الجار من الجار ، كما يرث القريب من القريب .

أيّها الإخوة :

هذا هو الإسلام . ليس من الإسلام أن تأكل وحدك ، أن تجمع على مائدتك من الأطعمة أطيبها ، ومن الأشربة أعذبها ، وأن تلبس من الثياب أحسنها ، وبجوارك أخ لك أو قريب ، أو جار ، لا يجد ما يمسك الرمق ، أو يطفىء الحرق ، يئن من الجوع أنين الملسوع . ليس هذا من الإسلام ، برىء من ذلك محمد ﷺ فقال : «ما آمن بى - وفى رواية : ليس المؤمن - من بات شبعانًا ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم » (٢) أى ليس بمؤمن من عاش لنفسه ولم يعش لإخوانه ، ولم يعش لمجتمعه ، هذا هو الإسلام قبل أن تعرف الدنيا المذاهب المستوردة من هنا وهناك .

أيّها الإخوة :

هذا التجمعّ المؤمن علام يدلّ ؟ إنّى أنظر مدّ البصر ، فلا أكاد أرى له آخرًا .

---

(١) رواه الترمذى - واللفظ له - فى كتاب البرّ والصلة من سننه برقم (١٩٤٤) ورواه أبو داود فى كتاب الأدب برقم (٥١٥٢) كما رواه البخارى فى الأدب المفرد برقم (١٠٥) . وانظر : فصل (تسامح فريد) من كتاب (غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى) للأستاذ القرضاوى .

(٢) رواه الطبرانى ، والبزار ، وحسنّه المنذرى ، وكذا قال الهيثمى : إسناد البزار حسن . ونص الرواية الثانية التى أشار إليها الشيخ : « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع » رواه الطبرانى ، وأبو يعلى ، ورواته ثقات ، ونحوه قال الهيثمى ، ورواه الحاكم من حديث عائشة، ولفظه : « ليس المؤمن الذى يبيت شبعانًا ، وجاره جائع إلى جنبه » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/ ٦٩١ ، الحديثان ١٥٣٠ ، ١٥٣١) .

OBEIKAN.COM

علام يدل هذا التجمع الذى دعا إليه فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى ؟ إنّه يدلّ على وجه مصر الحقيقى . هذا هو وجه مصر ، من أراد أن يعرف هذا البلد ، فليعرفه هنا . ليس الذين يجلسون فى البارات ، أو فى الكباريهات ، أو يجلسون حول الموائد الخضراء ، أو فى الليالى الحمراء ، ليسوا هؤلاء ممثلى مصر .

إنّ وجه مصر هو هنا وليس فى شارع الهرم وملاهيه ! مصر مسلمة ، مصر مؤمنة، وهذا ماينبغى أن يُعرَّف لطوائف من الناس جهلوا هذه الحقيقة .

أول هذه الطوائف : طائفة الماركسيّين ، طائفة الذين يريدونها إلحادية ، يريدونها ماديّة جدليّة . الذين يقولون : لا إله والحياة مادة ، الذين يزعمون أنّ (الدين أفيون الشعوب) (١) .

هذا هو الدين محرك الجماهير ، هذا هو الدين مصدر القوة ، لم تستند هذه الأمة إلى الدين يومًا وأخفقت أو هُزمت .

يوم صاح الصائح فى عين جالوت ، صاح فى جنود مصر : واإسلاماه ، واإسلاماه ، قالها قطز قائد معركة عين جالوت ، ورمى خوذته ، هناك حرّك الكامن، وهاج الساكن ، وأقبل المتردّد ، وتشجع الجبان ، وكان النصر على التتار .

يوم استندت هذه الأمة إلى معانى الإيمان فى العاشر من رمضان وصاحت : الله أكبر ، انتصرت .

فى سنة (١٩٦٧ م) يوم دخلوا المعركة بعيدين عن الله ، ناسين ، يقولون للجنود: معكم الممثلّ الفلانى والممثلّة الفلانية ، وتوزع عليهم صور المطربات والممثلين بدل أن يوزّع المصحف . . أن يوزّع القرآن ، كانت النتيجة ما عرفناه من العار ، والهزيمة ، والنكسة ، والوكسة .

الدين ليس أفيونًا ، الدين ليس مخدرًا ، إن صحّ هذا فى دين من الأديان فلن يصحّ فى الإسلام .

---

(١) للأستاذ العقاد رحمه الله كتاب بعنوان : (أفيون الشعوب) ، فنّد فيه هذه المقولة الزائفة ، وأكدّ أنّ هذا الوصف هو آخر ما يمكن أن ينطبق على الدين ، وأوّل وصف ينطبق على مذهب (ماركس) بجميع معانيه .

OBEIKAN.COM

الإسلام دين القوة ، الإسلام هو مصدر العزة والقوة . . مصدر التحريك لهذه الأمة .

لا يحرك هذه الأمة شيء كالإسلام ، لا يحركها وطنية ، أو قومية ، أو عروبة ، أو فرعونية ، إنّما يحركها : الله أكبر ، إنما يحركها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إنما يحركها أن ينادى المنادى : يا خيل الله اركبى ، ويا ريح الجنة هبى ! هنالك نرى هذه الأمة حقيقة واقعية ، لا دعوى تدعى .

إن الشيوعيين الذين يريدون هذا البلد شيوعيًا واهمون مخطئون . لن تكفر مصر، لن ترتد عن إسلامها ، لن ترجع عن دينها . هؤلاء غرباء عن هذا البلد ، غرباء عن مصر . مصر مسلمة مؤمنة .

أمّا الذين يقولون : إنّ الله لم يخلق الإنسان ، ولكن الإنسان هو الذى خلق الله، فهؤلاء الماديون . . . الملحدون . . الشيوعيون ، لا مكان لهم فى بلدنا ، البلد المسلم . . الشعب المؤمن .

ثم هناك طائفة أخرى على النقيض من هؤلاء ، ولكنهم جهلوا مصر أيضًا . إنّها طائفة غفلت عن حقيقة هذه الأمة . غرّهم ظاهر المنكرات التى يرونها فى الشوارع، وفى الأجهزة التى تبثّ الفساد ، غرّهم هذا فظنّوا أنّ هذا الشعب قد كفر . كفروا الناس بالجملة ، كفروا المجتمع بغير تمييز ولا تفصيل ، هؤلاء أخطأوا .

هذه الأمة لم تكفر بربها ، ولا بقرآنها ، ولا بمحمدّها عليه الصلاة والسلام . هذا الشعب مسلم ، قد يتراكم عليه غبار المعصية ، قد يعتريه الصدأ من كثرة التوجيهات المضللة الفاسدة المفسدة من هنا وهناك . ولكن إذا أزلت هذا الغبار ، إذا حككت هذا الصدأ ، تبيّن لك المعدن الحقيقى ، تبيّن لك الجوهر الأصيل . معدن هذه الأمة هو الإسلام ، الخامة الأصليّة لهذه الأمّة ، هى الإسلام ، أرضيّة هذه الأمة هى الإسلام ، فليعلم ذلك الغلاة المتطرفون [1] .

---

(١) للأستاذ القرضاوى رسالة مركزة نافعة بعنوان : (ظاهرة الغلو فى التكفير) . ضمنّها ثمانى قواعد جامعة ، وبين من خلالها مدى الخطأ الجسيم الذى سقط فيه هؤلاء الذين أسرفوا فى التكفير .

OBEIKAN.COM

وفئة ثالثة أذكرها بهذا الجمع . إنها فئة العلمانيين ، الذين يريدون أن يفصلوا بين العقيدة والشريعة ، أو بين الدين والدولة ، الذين يريدونها دولة لا دين لها ، أو دينًا لا دولة له . لا ، أخطأتم أيها العلمانيون ، هذه الأمة تريد أن تحكم وفق عقيدتها .

إنّ هذا الصراع وهذا التناقض الذى يحس به المسلم فى حياته ، يجب أن يزول . المسلم يحسّ فى أعماقه أنه مؤمن بالله ، مؤمن بالإسلام ، مؤمن بالقرآن ، رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ رسولاً ، وبالقرآن منهاجًا وإمامًا .

هذا المسلم يحس أنه يحكم ويقاد فى كثير من الأوضاع والمفاهيم والقوانين والتقاليد بغير الإسلام ، وبغير شريعة الإسلام . ولهذا يجب أن تتعالى الأصوات فى كل مكان ، تنادى بشريعة الإسلام ، تنادى بحكم القرآن ، يجب أن يكون ذلك فى كل مكان .

وأحب أن أقول هنا شيئًا : ماذا نريد بشريعة الإسلام ؟ إنّ بعض الناس يظن أن مجردّ تعديل القوانين يقيم شريعة الإسلام ، وأنّ مجرد تطبيق الحدود يقيم مجتمع الإسلام ، وأمة الإسلام .

لا . الإسلام أيها المسلمون : فلسفة حياة ، ونظام حياة . نظام يصحب الفرد من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة ، بل ربما صحبة قبل الميلاد وبعد الوفاة .

فإن فى الإسلام أحكامًا تتعلق بالجنين فى بطن أمه ، وأحكامًا تتعلّق بالميت بعد موته : أحكام الغسل والتكفين والصلاة والدفن وتقسيم التركة وغير ذلك .

الإسلام يصحب الإنسان فى رحلة الحياة كلها ، كما يصحبه فى مجالات الحياة كلها : فى المسجد ، والبيت ، والمزرعة ، والمصنع ، والمدرسة ، والمحكمة ، والطريق . . إنه يهيىء للإنسان حياة إسلامية متكاملة ، توجهها العقيدة ، وتضبطها القيم ، وتحكمها الشريعة فى كل شىء . من قضاء الحاجة إلى نظام الخلافة ، من أدب المائدة إلى بناء الدولة ، يعلمّك كيف تأكل وكيف تشرب « سمّ الله وكل بيمينك، وكل مّما يليك » [1] « ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا

---

(١) متفق عليه من حديث عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما (رياض الصالحين) .

OBEIKAN.COM

فى صحافها » [1] ولا بملعقة من فضة أو ذهب ، و.. و.. كما يعلمك كيف تحكم ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ . . . ﴾ [2] ﴿ . . . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [3] .

فإذا أردنا أن نحكم الإسلام ، فلا بد أن يتغير المجتمع كلّه إلى الإسلام . تتغير الأفكار والمفاهيم ، تتغير القيم والأخلاق ، تتغير العادات والتقاليد ، تتغير العواطف والمشاعر ، تتغير الأنظمة والشرائع والقوانين ، وتتغير الثقافة والإعلام ، تتغير التربية والتعليم . نريد تشريعًا إسلاميًا . . تربية إسلامية . . إعلامًا إسلاميًا . . ثقافة إسلامية . . توجيهًا إسلاميًا فى كل مكان ، هذا ما نريده إذا أردنا أن نحكم الإسلام، ونقيم المجتمع المسلم حقًا [4] .

يا أيها الإخوة المسلمون :

إنّ الإسلام دين عظيم . إنّ الله منّ علينا بهذا الدين ، وهو أفضل دين . منّ الله علينا بأكرم نبىّ أُرسل ، وأعظم كتاب أُنزل ، منّ علينا بالقرآن ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، وأنعم علينا بالإسلام ﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا . . . ﴾ [5] ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [6] .

---

(١) رواه البخارى ، ومسلم عن حذيفة رضى الله عنه . ونصه كاملاً : « لا تلبسوا الحرير ، ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢/٥٩٨ ، الحديث ١٢٣٧). وانظر فى حكم تحريم هذه الأشياء المذكورة وحكمته : كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) للأستاذ القرضاوى . فصل : (فى الملبس والزينة) و(فى البيت) .

(٢) المائدة : ٤٩ . (٣) المائدة : ٤٢ .

(٤) راجع فى هذا : كتاب (ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده) للأستاذ القرضاوى ، وفيه ذكر أحد عشر مقوّمًا للمجتمع المسلم المنشود ، وقد نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة .

(٥) المائدة : ٣ . (٦) التوبة : ٣٣ ، الصف : ٩ .

OBEIKAN.COM

ولكن هل يعزّ الإسلام ، ويسود الإسلام ، ينتصر الإسلام وحده ؟ هل ينتصر الإسلام ويظهر على الدين كله بغير مسلمين ؟ هل يعزّ الإسلام بغير رجال ؟ لا ، إن الإسلام يحتاج إلى رجال ينصرونه ويعزّونه ، وينشرونه ، ويكونون مثلاً له فى الأرض ، مثلاً عملية يراهم الناس فيرون فيهم الإسلام . إذا سار أحدهم قالوا : أنظروا ، هذا هو الإسلام المجسّم ، هذا قرآن يسعى على قدمين، كما كان النبى ﷺ، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم .

الإسلام عظيم ، ولكنه يحتاج إلى مسلمين عظماء يكافئون عظمته . إنّ الله تعالى يقول لرسوله : ﴿ . . هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) وبالمؤمنين . . لا بدّ من المؤمنين .

إنّ رجلاً أجنبيًا درس الإسلام ، فأعجب به ، وأعجب بتعاليمه ، فقال كلمة يجب أن نحفظها ونرويها ، لأنّها تقطع نياط القلوب . ماذا قال ؟ قال : ما أعظمه من دين لو كان له رجال !! دين عظيم ولكنّه فى حاجة إلى رجال عظماء ، دين قوى ولكنّه فى حاجة إلى رجال أقوياء .

فواعجبًا : إنّ عدد المسلمين فى العالم يقارب المليار ، وربّما يجاوز المليار ، نحو ألف مليون مسلم فى العالم ، كما تدلّ على ذلك الإحصائيات ، ولكن هؤلاء المنسوبين إليه ، المحسوبين عليه ، لا يمثلون الإسلام حقيقة التمثيل . إنّهم كما جاء فى الحديث : « غثاء كغثاء السيل » (٢) .

نريد قلة مؤمنة لا كثرة عاطلة . نريد الكيف قبل الكم ، لا نريد الكثرة الغثائية التى قال فيها الشاعر قديمًا :

إنّى لأفتح عينى حين أفتحهـــا على كثير ولكن لا أرى أحداً !

لا نريد أناسًا من هذا الصنف ، نريد مسلمين . . مسلمين حقيقيين ، الواحد منهم بألف ، وقد قال الشاعر :

والناس ألف منهم كواحـد وواحد كالألف إن أمر عنا

---

(١) الأنفال : ٦٢ .

(٢) من حديث ثوبان : وقد مرّ تخريجه فى ص (٢٥٤) .

OBEIKAN.COM

وقال تعالى : ﴿ . . كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ . . . ﴾ (١) .

أيها المسلمون :

إنّ هذا التجمع يعرّفنا حقيقة أنفسنا ، لا نريد أن ننصرف لنلهو ونلعب ، ولكن نريد أن ننصرف لنتعاهد على نصرة الإسلام ، لنربى أنفسنا على الإسلام ، لنربّى أبناءنا وبناتنا على الإسلام ، لنربى أهلينا وزوجاتنا على الإسلام .

الإسلام أساس عزّنا فى الدنيا ، وأساس سعادتنا فى الآخرة . إذا أردنا العزة فى الدنيا ، فلا عزّة والله إلا بالإسلام .

عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان فى طريقه إلى الشام ، وكان معه أبو عبيدة - رضى الله عنه - فقابلتهم مخاضة - فنزل عمر ليخوض هذه المخاضة ، وخلع نعليه ، وأمسك بهما كأىّ رجل عادى من الناس ، فانزعج أبو عبيدة وقال : يا أمير المؤمنين لو فعلت غير هذا الناس يرونك ، وأنت أمير المؤمنين وخليفة المسلمين. فماذا قال عمر ؟ قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، إنّا كنّا أذلّ قوم ، فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العز بغيره أذلنا الله .

أيها الإخوة :

لا عزة بغير الإسلام ﴿ . . . وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

إذا أردنا النصر على عدونا فلا نصر إلا بالإسلام . النصر لا يأتى بغير الإيمان ، ولا إيمان بغير الرجوع إلى الإسلام .

الإيمان هو الذى يصنع البطولات ، هو الذى يصنع الروائع ، الأسلحة وحدها لا تغنى ، السلاح لا يقاتل وحده ، إنما يقاتل بالرجل الذى يستخدمه ، وقديمًا قال المتنبى :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرام ؟

---

(١) البقرة : ٢٤٩ .

(٢) المنافقون : ٨ .

OBEIKAN.COM

خيل بغير خيّال ماذا تصنع ؟ وقال الطغرائى :

وعادة السيف أن يزهى بجوهره وليس يعمل إلا فى يدى بطل !

فى سنة (١٩٦٧ م) كانت عندنا دبابات تزن الواحدة منها (ستين) طنًا من أحدث طراز ، ولكن تركوها وهرولوا . . طلبوا الفرار ، ولم يكلف أحدهم خاطره أن يخربّها قبل أن يتركها ، وتسلمّها الأعداء لقمة سائغة ، وغنيمة باردة ، لماذا ؟ لأنّ كل واحد كان يقول : الفرار الفرار . . النجاة النجاة . . نفسى نفسى .

بالإيمان نستطيع أن نصنع الرجال الذين يكسبون حقوقهم بأيديهم بمثل هذا الإيمان هبتّ نفحة من نفحات رمضان ، فحققنا ما تحقق فى رمضان .

إذا أردنا العزة ، فلا عزة إلا بالإسلام . وإذا أردنا النصر ، فلا نصر إلا بالإسلام. وإذا أردنا الوحدة ، فلا وحدة إلا بالإسلام .

يريدون الوحدة العربية . كيف يتحد العرب إذا لم يكن منهجهم الإسلام ؟! إذا تركوا الإسلام تفرقوا إلى يمين ويسار ، واليمين درجات واليسار درجات . هناك يمين اليمين ، ووسط اليمين ، ويسار اليمين ، وهناك يسار اليسار ، ووسط اليسار ، ويمين اليسار . هناك من يتجه إلى موسكو ، وهناك من يتجه إلى بكين ، وهناك من يتجه إلى لندن ، وهناك من يتجه إلى واشنطن ، قبلات متعددة ، ووجهات متفرعة، سيفترق الجميع إذا لم يلتقوا على الإسلام .

الإسلام دين الأمة ، وهو الذى يوحد الجميع . يوحدّ قبلتهم ، ويوحد مشاعرهم، ويوحدّ أهدافهم ، ويوحدّ منهاجهم . إنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ . . . ﴾ (١). قال ابن مسعود رضى الله عنه (٢) : خطّ لنا رسول الله ﷺ خطًا - أى على الرمل- يرسم لهم بوسائل الإيضاح المتاحة - ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خطّ

---

(١) الأنعام : ١٥٣ .

(٢) إسناده حسن ، وأخرجه الإمام أحمد ، والطبرى ، والحاكم وصححه ، وأقرّه الذهبى (شرح السنة للبغوى بتحقيق الشاويش والأرناؤوط : ١/١٩٦ - ١٩٧ ، الحديث ٩٧) .

OBEIKAN.COM

خطوطًا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، وقرأ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ . . . ﴾ (١) .

أيها الإخوة المسلمون :

فى هذا اليوم . . فى هذا المهرجان الإسلامى . . فى هذا اليوم الربانى . . فى هذه الساحة التى التقت فيها الألوف وعشرات الألوف وربّما مئات الألوف . . فى هذه الساحة يجب أن نعرف أنفسنا ، يجب أن نكتشف أنفسنا ، نحن المسلمون قبل كل شىء ، مهما عرضت العوارض ، أو طرأت الطوارىء ، يجب أن نعرف أننا مسلمون ، ولا حياة لنا بغير الإسلام . وعلى هذا يجب أن نطبق الإسلام على أنفسنا ، ثم ندعو إليه العالم ، والعالم كله فى حاجة إلى الإسلام . البشرية المعذبة فى الأرض لم تنفعها الرأسمالية ولا الشيوعية ، ولن يجدوا دينًا ينقذهم من الجاهلية الحديثة . . . لن يجدوه إلا فى الإسلام .

ذهبت إلى أوربا وأمريكا ، فوجدت الناس يدخلون فى الإسلام كل يوم ، ويمكن أن ينتشر الإسلام أكثر وأكثر لولا سوء حال المسلمين .

إنهم ينظرون إلى الإسلام من خلال المسلمين ، ويقولون : إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم ، فما بال المسلمين جهلاء ؟ إذا كان يدعو إلى التقدم ، فما بال المسلمين متخلفين ؟ إذا كان يدعو إلى النظام ، فما هذه الفوضى فى حياة المسلمين ؟ إذا كان يدعو إلى النظافة ، فما بال بلاد المسلمين أقذر بلاد العالم ، إذا كان يدعو إلى الوحدة ، فما لكم متفرقين .

وأذكر حادثة أقولها لكم . رجل غربى دخل فى الإسلام ، اعتنق الإسلام عن طريق الكتب ، قرأ عن الإسلام فأعجب به ، وآمن بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً ، ولكنه بعد عدّة سنين أراد أن يقوى دينه بالحج إلى بيت الله الحرام. هناك ذهب إلى موسم الحج ، فرأى سوء حال المسلمين ، وسوء نظامهم ، ورأى الفوضى ، وعدم الأدب فى المعاملة ، وغير ذلك ، ممّا قرأ ضده فى كتب الإسلام ،

---

(١) الأنعام : ١٥٣ .

فماذا قال ؟ قال هذه الكلمة : الحمد لله الذى عرّفنى الإسلام قبل أن أعرف المسلمين!! .

نحن صورة سيئة للإسلام . لماذا يا مسلمون ؟ لماذا لا نعود إلى ديننا ؟ لماذا لا نكون مسلمين حقًا ؟ نعمل بالإسلام ، ونعمل للإسلام . لماذا لا نقف حياتنا وجهودنا على نصرة هذا الدين ؟

أى دين فى الدنيا وجد من يدعون إليه ، ويعملون له . حتى الشيوعية الباطلة وجدت لها أنصارًا ورجالاً ، الماسونية وجدت رجالاً ، اليهودية أقامت لها دولة فى قلب بلاد المسلمين ، النصرانية لها مبشّرون ومبشرّات بعشرات الألوف فى أنحاء العالم . كلّ مذهب له أهله وأنصاره ورجاله . فأين أنصار الإسلام ؟ أين رجال الإسلام ؟

كونوا أنتم رجال الإسلام ، كونوا أنصار الله ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ . . . ﴾ (١) .

يا أيها الإخوة :

كلمة أريد أن أختم بها . إن دعوتنا إلى الإسلام لا تحمل أى عدوان على أحد ، ولا تحمل أى تعصب ضد أحد . حينما ندعو إلى الإسلام ، إنّما ندعو إلى المُثل العليا ، إنّما ندعو إلى القيم الرفيعة التى جاء بها الأنبياء ، ونادت بها كل الرسالات. القيم والمثل التى نادى بها موسى وعيسى ، ونادى بها بعد ذلك خاتمهم محمد ﷺ .

فلنحرص جميعًا على الإسلام ، ولنعش بالإسلام ، ولنمت على الإسلام ، وليكن شعارنا : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) الصف : ١٤ .

(٢) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

OBEIKAN.COM

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا ، ويحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، ويجيرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على المسلمين ، ونذير وبال وحسرة على الظلم والظالمين . اللهم أعد أمثاله على أمتنا الكبرى من المحيط إلى المحيط ، بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى . ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

أقول قولى هذا وأستغفر الله تعالى لى ولكم .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ ﴾ (٢) .

وصيتى إلى الإخوة أن ينصرفوا فى هدوء مشكورين مأجورين ، ومن جاء من طريق فليرجع من طريق آخر . تهنئة المسلمين بعضهم لبعض : تقبل الله منّا ومنكم. زوروا بعضكم بعضًا ، وتواصلوا فيما بينكم ، فإن الصلة من أهداف الإسلام ، ومن مبادىء الإسلام .

وصلّى الله على محمّد وآله وصحبه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) العصر : ١ - ٣ .

OBEIKAN.COM